مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها

للدكتور محمد مظهر سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

— ٢ —

استعرضت في المقال السابق[1] بعض نماذج عامة لمصطلحات علم النفس الانكليزية تبين للقارىء باجلى وضوح مبلغ ما يجده الاساتذة المصريون من الصعوبة في نقل هذه المصطلحات الى العربية اذا اعتمدوا على الاستعمال العادي وقواميس اللغة وموسوعاتها ، وكيف انهُ اصبح يتعذر وضع الفاظ لها تؤدي المعنى العلمي المقصود وتحدده تحديداً لا لبس فيهِ ولا غموض اذا لم نتتبع المعاني المختلفة التي خلعت على كل مصطلح في مختلف ادواره الفلسفية والسيكولوجية وآراء العلماء الذين وضعوها ان كانت حديثة والمذاهب التي تذهب اليها المدارس السيكولوجية المختلفة في تفسيرها واستخدامها . ولا استطيع ان افعل خيراً من ان اذكر ما قاله احد اساتذة علم النفس الاجلاء عند وضعه اول كتاب علمي في هذا الموضوع . « والله وحده يعلم ما كابدته من المشاق والاتعاب في تأليف هذا الكتاب وتحصيل معانيه . تارةً من اللغة الاجنبية وتارات من الاسفار العربية والتقاط الفاظه كلمة كلمة من كتب شتى . وما بذلتهُ من الجهد في وضع عباراته وسبكها بقدر ما في الامكان على ابسط صورة الخ » (كتاب علم النفس للمرحوم الشيخ محمد شريف سليم سنة ١٩١١ : ص ل مقدمة) وفي ص ١٠ « هذا وقد اعتبرنا في توضيح معاني هذه الكلمات مفاهيمها العامة الجارية على ألسنة العالم » وتواضع الاستاذان علي الجارم ومصطفى امين فقالا في مقدمة كتابهما (علم النفس وآثاره في التربية والتعليم) « وقد حافظنا على ما وضعهُ رجال العربية قبلنا من اصطلاحات العلم واوضاعه . اعترافاً بسبقهم وحبًّا في اتصال عملنا باعمالهم . ولكيلا يضيع الخلاف اللفظي شيئاً من وقت الباحث او يكون سبباً في اختلاط الامر عليهِ » . وعلى الرغم من ضيق دائرة علم النفس الذي يدرّس في مصر واقتصاره على علم النفس التعليمي لطلبة المعلمين والمعلمات وسهولة مصطلحات هذا الفرع وانتشارها فقد شعر الاساتذة الاجلاء المرحوم الشيخ شريف والاستاذ علي الجارم ومصطفى امين وامين مرسي قنديل الذين يرجع اليهم كل الفضل في ادخال علم النفس في مصر ونقله الى العربية وبذل الجهود

(١) راجع مقتطف اكتوبر ١٩٣٣

لجبارة في سبيل كشف مغلقه ونشره بين الناس ومن قبل على أرقم امثال الاساتذة حسنين عبد لرازق وحامد عبد القادر وعطية الابراشي وكامل هذه السطور في مصر وغيرهم في الشام والعراق كل هؤلاء لا اخالهم الا شاعرين بشدة حاجة المشتغلين بهذا العمل الى ضبط مصطلحاته وتعميمها قبل ان يترى سيل فروع علم النفس الاخرى عن طريق معهد التربية وكلية الحقوق وتتشعب المصطلحات ويتعذر الاتفاق

وسأذكر للقارىء بعض نماذج الترجمات العربية لأهم مصطلحات علم النفس التعليمي واكثرها استعمالاً مخيرتها من الكتب العربية الآتية التي ما زالت تستخدم كمراجع وكتب مدرسية في مدارس المعلمين والمعلمات وكليات الازهر ومعهد التربية

(١) علم النفس المرحوم الشيخ محمد شريف سليم
(٢) علم النفس وأثره في التربية والتعليم للاستاذين علي الجارم ومصطفى امين
(٣) اصول علم النفس للاستاذ امين مرسي قنديل — جزءان
(٤) في علم النفس — الجزء الاول — للاساتذة حامد عبد القادر وعطية الابراشي ومظهر سعيد
(٥) « « — « الثاني — للاستاذين « « « « «

وسأتناول علم النفس موضوعاً موضوعاً متدرجاً من الشعور ومظاهره الى الاحساس فالادراك وانواعه فالعمليات العقلية والغرائز

موضوع الشعور

أول مظهر من مظاهر الحياة العقلية وأقوى دليل على وجودها شعور الكائن بذاته ونفسه وما حواليه من اشياء وما يقوم به من افعال او على حد قول فلاسفة المسلمين « شعور الانسان بذاته وما يصدر عن هذه الذات وما هو خارج عنها » وبعبارة اخرى ادراكه لنفسه وما يظهر في ذهنه وما يشعر به في داخله وما يحيط به وافعاله التي يرمي بها الى غرض خاص وغير ذلك مما يحقق قول الفيلسوف ديكارت المأثور (أنا ادرك او افكر فأنا موجود Cogito ergo sum)

وقد يتدرج هذا الشعور من مجرد شعور الانسان بشيء يؤثر في حاسة من حواسه شعوراً غامضاً غير محدود يدرك به ان هناك شيئاً ولكن لا يستطيع ان يميزه ، الى شعور كامل بذلك الشيء وادراك لمميزاته وظروفه وأحواله يصل الى ما يسميه الفيلسوف الالماني (كانت) بالمعرفة . واللفظ الذي يتضمن كل هذا المعنى هو بالانكليزية Consciousness ومثله بالفرنسية Conscience . وقد اتفق المؤلفون على ترجمته بالشعور ولم يشذ عن هذا غير الاستاذ الابراشي فقد سماه في بعض الاحوال بالوعي (ص ٣١ . حالة الوعي واليقظة اي الشعور) ولكنهم اختلفوا في تعريفهم له فقد عرّفه المرحوم الشيخ شريف (ص ٨١) بتعرف النفس على نفسها وهي متلبسة بحال من أحوالها فهو الادراك العام للنفس وهو بذلك اخرج ادراك النفس

لغيرها وما تقوم به من افعال ليست في ذاتها من حالات النفس وقال الاستاذ الجارم (ص ٤١) معرفة الانسان ما يجري في نفسه من الوجدان والفكر والارادة

واتفقوا كذلك على ترجمة Focus (النقطة التي يتجمع او يتركز فيها الشعور) بالبؤرة و Margin (ما يخرج عن المركز ولكنهُ في مجال الشعور على كل حال) بالهامش نقلاً عن علم الضوء والشعور الناقص او الهامش Subconsciousness يشبه الشعور ما عدا الاستاذ عبد الرازق (ص ٢) فقد سماه الشعور الضعيف وهذه الترجمة في الواقع لا غبار عليها لولا انها تختلط بمعنى Anoetic consciousness وهي كلمة جديدة لم ترد بعد في الكتب العربية وضعها العلامة الانكليزي ستاوت للدلالة على الشعور الغامض الضعيف غير المحدود

وترجموا الشعور الباطن (Unconsciousness) الذي هو مظهر الحياة العقلية للعقل الباطن في النوم والسرحان باللاشعور وكنا نرجو ان لا تترجم هذه الكلمة حرفيًّا حتى نصلح عيب الكلمة الاوروبية التي يفهم منها الطلاب والمبتدئون حالة عدم الشعور او فقدانه (non—consciousness) في حالة الموت والتخدير والاغماء. اما الابراشي فقد ترجمها باللاوعي قياساً على ترجمته الشعور بالوعي

والشعور مظاهر سماها الأقدمون knowing, affection, volition او Will فترجمها من نقل عنهم بالمعرفة او الفكر والوجدان والارادة (الجارم ٤١)

ورأى المحدثون ما في التسمية من خطأ فظيع اذ ليس كل ادراك معرفة او فكر وليس كل عمل يقوم به الانسان بأرادة فسموها cognition و affection و conation فترجمها من نقل عنهم الادراك والوجدان والنزوع (ما عدا عبد الرازق فقد احتفظ للادراك بلفظه القديم وهو المعرفة وذكره كذلك هكذا ص ٢٨—مظهر المعرفة Cognition) وترجمها الشيخ شريف تارة معرفة وادراكاً وتارة علماً. ففي ص ٤٢ مثلاً يقول (الغرائز يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور فهي غير مشعور بها) والعلم فوق الادراك والمعرفة بمراحل

وفي حين ان بعضهم اخذ باللفظة الحديثة Affection الا انهم ادخلوا تحت مظهر الوجدان ما لم يقل به المحدثون فأدخل الجارم (ص ٤٧) الجوع والعطش وهما أمران عضويان فسيولوجيان وعرَّف الاستاذ قنديل الوجدان (ص ٥٠) بما نجده في نفسك من لذة وألم. من غير ان يفرق بين اللذة والألم المعنويين وهما آخر مراتب الارتياح وعدم الارتياح واللذة والألم المادين وهما عضويّان

موضوع الاحساس

كلمة Sensation الانكليزية والفرنسية بالمعنى السيكولوجي المحدود ومشتقاتها يقصد بها العملية الفيزيقية الفسيولوجية التي تستقبل بها الحواس آثار المؤثرات الخارجية كما هي وترسلها

عن طريق الاعصاب المرسلة او المصدرة الى المناطق الخاصة بالتصرف فيها في مراكز الجهاز العصبي. ولاشيء غير هذا المعنى مطلقاً. وقد اتفقوا على ترجمتها بالاحساس ولكنهم عند تفسير معناها ادخلوا تحتها عمليات عقلية ومظاهر شعورية ليست من الاحساس في شيء حتى انه ليصعب على الطالب والقارىء ان يفهم المعنى المحدود والفارق بين الاحساس وبين العمليات العقلية والحالات النفسية الاخرى. فالشيخ شريف يقول (ص ٤٦) الاحساس قوة طبيعية اودعها الله في النفس تجد بها لذة وألماً في اشياء (وهذا هو الوجدان) وفي (ص ٤٩) الاحساسات أثرية تظهر آثارها على وجه الانسان (وهذه ايضاً وجدانات) وفي (ص ٥٠) القوة الحسية هي الاحساس الذي تسبب من حصول ظاهرة من ظواهر القوة الطبيعية كألم الجوع — وفي (ص ٣٣) الظواهر الانفعالية تدخل تحت القوة الاحساسية. والسرور والخوف المعنويان القوة الوجدانية وهي ارقى قوى الاحساس. لكأنه فرّق بين الاحساس والوجدان ولكنه اعتبرهما مراتب للاحساس. وسبب هذا الخلط ما وقع فيه علماء الغرب انفسهم في القرن الماضي من الخطإ في الخلط بين كلتي Feeling و Sensation. اما الاستاذ قنديل فقد ادخل في الاحساس عناصر الادراك الحسي ووضع كلمة الحس (ولا نعرف لها مقابلاً في الافرنجية للدلالة على كتلة مدركاتنا الحسية وخبراتنا السابقة (Apperceiving mass) فيقول فيه (ص ٧ الجزء الثاني) الاحساس والادراك الحسي يكوّنان معاً كل خبراتنا الحسية او الحس

ونظرة واحدة الى تقسيم الاستاذ Watt لمظاهر الشعور في كتابه[1] وهو حجة في موضوع الاحساس تبين لنا وجوب فصل الاحساس والمظاهر الادراكية الحسية عن المظاهر الوجدانية

I Sensory – Cognitive System includes all Sensations

II Emotive System includes all non — sensory feelings, pleasure, displeasure & all emotions.

اما في تقسيم الحواس والاحساسات وترجمتها فقد اتبعوا اساساً لا يتفق الى حد ما مع الاساس المعمول به الآن في علم النفس الحديث والذي يجب ان يكون في ذاته دليلاً للترجمة فالاحساسات تنقسم الى اربعة اقسام رئيسية هي

I Exteroceptive (outer)	وتشمل الالم العضوي والحرارة كمؤثر خارجي
II Preperoceptive (inner)	كالنطق والاحساس العضلي
III Interoceptive (inner)	كالاحساس بالجوع والعطش
IV Exteroceptive complex	كالسمع والبصر

المراجع

(1) H. J. Watt "The Sensory Basis or Structure of Knowledge"
(2) Sir Percival "The Psychology of Perception"
(3) Haliburton "A Handbook of Physiology"

(1) The Sensory Basis or Structure of Knowledge

وقد اقتصر معظم المؤلفين على ذكر الحواس الخمس الرئيسية السمع والبصر الخ واضاف الاستاذ حامد عبد القادر (ص ٤٩ الجزء الثاني) المعدة فقال (عدد الحواس عند القدماء خمسة ... واضاف المحدثون المعدة) وذكر (ص ٤٨) الحس الخارجي (للاحساسات الجلدية) والباطني (للالم والسرور) والموضعي والحركي وذكرهما الاستاذ قنديل (ص ١٢ الجزء الثاني) كما يأتي

احساسات عضوية كالتنفس والدورة الدموية (ومنها الحشوية كالقلب والرئتين) ثم الحركية فالجلدية فالشمية والسمعية الخ

اما الاشياء المحسوسة ذاتها فقد سميت تارة بالمحسوسات (شريف ص٢٧) وتارة بالمحسات (شريف ص ٥٥) وهذه على كل حال ليس لها مقابل بالانكليزية بكلمة مجموعة Percept (للمدرك الحسي) و Concept (للمدرك الكلي) ولذلك اقترحنا ان تضاف كلمة Sencept (للمحسوس) اما كلمة Stout الجديدة Sensum التي تدل على مجموع الآثار الحسية التي تحل في العقل محل المؤثر الاصلي فيدركه العقل على مقتضاه ، فلم ترد بعد في المؤلفات العربية

موضوع الادراك الحسي

ذكرنا ان العقل في مرتبة الاحساس يستقبل الآثار الصادرة عن المؤثرات الخارجية ولكن لا يكون لهذه الآثار قيمة عقلية او شأن في الحياة العقلية الا اذا اعطاها العقل معنى محدوداً يربط هذا الموقف الحاضر بمواقف سابقة عن طريق التداعي والتذكر والاسترجاع والتعرف وغير ذلك من العمليات التي تساعدنا على ادراك المواقف الخارجية اي انه (كما يقول ساندفورد) يقوم بعملية التعبير عن الاحساسات وترجمتها بطريقة تشعرنا بوجود المحسوسات التي هي مصدر هذه الاحساسات (راجع كتاب علم النفس — النظري والتعليمي لكاتب هذه السطور) . وهذه العملية تعرف في الافرنجية بكلمة Perception وجمهرة الاساتذة تميل الى ترجمة هذا المصطلح بـ « الادراك الحسي » ولكنهم في مواطن كثيرة استخدموا له مرادفات تجعل المعنى غامضاً بعض الغموض . فالشيخ شريف سماه الادراك الذهني (ص ٣) والحسي (ص ٢٥) والانساني (ص ٦٩) وكذلك ذكر له مراتب لا نجد لها مثيلاً في الافرنجية الحديثة الى ادراك اولي (ص ٧٥) وهو ادراك الموجودات الخارجية والتمييز بينها وهذا بدوره ينقسم الى ادراك اولي حسي (ص ٩٣) وهو معرفة الاشياء بمجرد الحس بها وادراك اولي وجداني (ص ٩٣) وهو معرفة الاشياء بمجرد وجدانها (كذا) ثم ادراك اولي عقلي (ص ١١١) وهو معرفة المعاني العامة الضرورية البالغة الغاية في الوضوح ومن ناحية اخرى قسمه (ص ٩٨) الى ادراك طبيعي من طبيعة الحواس نفسها وكسبي بعد تمرين الحواس واشراك بعضها مع بعض . وفي بعض المواضع اعتبر الادراك من عمل الحواس

فقال (ص ٢٥) النظر ان يدرك كنه الاشياء . واشياء يستحيل ادراكها بالحس . والجارم (ص ٧٩) ذكر ولوع الطفل باحساس الشيء (اي ادراكه ادراكاً حسيًّا)

ولا يتعين في الادراك الحسي ان يعرف الانسان حقيقة ما يحس به ولو أنهُ يدركه ومن باب اولى لا يعلم بهِ علماً تامًّا فكثيراً ما يخطىء الادراك وتخدع الحواس ومع هذا يقول الاستاذ حامد (ص ٧٠ جزء ٢) الادراك الحسي يتضمن العلم بوجود شيء وفي (ص ٧٩) وظيفة الادراك الحسي هي ان تكون على علم تام بما هو واقع فهو العلم بالواقع وفي موضع آخر يشير الى بعض الادراكات الحسية (ص ١٣٦ جزء ٢) بأننا لا نشعر بهذه الاحساسات شعوراً محدوداً واضحاً وفي (ص ١٣٧) ومهما يكن من أمر هذه الاحساسات فانها غامضة يشعر بها عنصر وجداني يتغلب على العنصر الادراكي وهذا مناقض للتعريف الذي ينص على تمام العلم بالواقع عند الادراك الحسي . وأنا أرى ان ترجمة Perception بالادراك الحسي يجعل الحس صفة للادراك في حين ان التصور هو ادراك العقل لما يحس بهِ فالحس صفة للمدركات وليس للادراك ولذلك ارتاح الى ترجمتها «بادراك المحسوسات» . أما المدركات ذاتها Percepts فأفضل ترجمة لها المدركات الحسية تمييزاً لها عن المحسوسات التي لم تدرك بعد وسماها حامد (ص ١٣٦ — ٢) بالادراكات الحسية ولعله يقصد انواع الادراك من حيث تعدد المدركات ففي (ص ١٠٠ — ٢) يقول تنقسم الادراكات الى عليا ودنيا . فالعليا هي الابصار والسمع الخ والمعنى غامض على كل حال لان السمع والابصار ليسا ادراكات ولا مدركات وانما هما احساس

وبعد ادراك المحسوسات ترتبط هذه المعلومات الجديدة بما يماثلها في كتلة معلوماتنا القديمة حتى تصير منها وتسمى هذه العملية Apperception ولم يشر اليها واحد من المؤلفين الا الاستاذ حامد (ص ١٩٨ — ٢) فقد ترجمها الترابط وترجم Correlation وهي عملية ادراك العلاقات بين المواقف (على حد رأي العلامة الانكليزي Spearman) بالترابط وهما عمليتان مختلفان ولكنهُ عاد فترجم Appreciving mass بالكتل الربطية (يقصد الترابطية) وانا أميل الى ترجمة عملية Apperception بتثبيت المدركات الحسية للاسباب التي ذكرتها في المقال السابق

فاذا ازدادت المدركات الحسية المتشابهة في الذهن عمد العقل الى الاقتصاد في عملياته الادراكية فيجرد هذه المدركات من صفاتها العرضية وميزاتها الحسية وينتزع الصفات الجوهرية ويضع منها معنىً كليًّا يعممه على كل انواع هذه المدركات المتشابهة او المترابطة وتعرف هذه العملية في علم النفس والمنطق بكلمة Conception والمدرك الكلي Concept وقد ترجموها بادراك الكليات وتارة المعقوليات والمفهوميات واضاف حامد (ص ٢٥—٢) ادراك الكلي المعنوي وكذلك اضاف الى عمليات الادراك الثلاث السابقة او مستويات الادراك ما سماه (ص ٢٥ — ٢) المستوى الفلسفي

المطبوعات لاتقلّ نسبتها الآن عنها في ايام الحكومات القيصرية . فهي ثمانية اضعاف ما كانت عليه قبل الثورة . فتجد في ڤائمة المطبوعات الادبية آثار الروائيين الروس القدماء والمحدثين على السواء محاذية لآثار الروائيين الانكليز والاميركيين والالمان والفرنسيين وقد ترجمت كلها وطبع منها ألوف بل عشرات الالوف من النسخ . وقد أعلن عن اخراج جميع مؤلفات فلوبير وبلزاك الفرنسيين في سنة ١٩٣٣ فليس من الصواب ان يقال ان الادب الروسي او الادب المطبوع في روسيا كلهُ ادب دعاية للنظام السوفيتي

ولعلّ الامر الذي يدهش لهُ الزائر عدد النسخ التي تطبع من كل كتاب. فيسترعي نظرهُ اولاً عدد الرسائل الصغيرة التي يطبع منها عشرات الالوف فيحسب ان الرقم ٦٠٠ الف نسخة — وهو عدد النسخ التي بيعت من الكتب والرسائل الجديدة من دار موسكو — رقم مضلّل لان معظم ما يباع انما هو هذه الرسائل القصيرة . ولكن اذا حسبت ان عدد النسخ التي بيعت ٦٠٠ مليون نسخة فيها نحو ٣٠٠٠ مليون ملزمة — وان الرسائل الصغيرة تتراوح بين نصف ملزمة او ربع ملزمة وملزمتين — ادركت ان لا بدّ ان يكون بين هذه الكتب مجلّدات ضخمة. والواقع ان مؤلفات ماركس وجوته وداروِن ولنين ، تطبع وتنشر في مجموعات كل مجموعة منها تختلف من ثمانية مجلدات او عشرة الى عشرين مجلداً . ومتوسط الطبعة الاولى من كل المطبوعات الجديدة في سنة ١٩٢٩ سواء اكانت كتباً او رسائل او مجموعات كتب ، كان ١٠٧٠٠ نسخة فبلغ سنة ١٩٣١ خمسة وعشرين الف نسخة . فاذا فرقنا بين مؤلفات العامة — كالرسائل والموجزات وكتب الاطفال — ومؤلفات الخاصة ، وجدنا ان متوسط الطبعة الاولى من الطائفة الاولى كانت ١٦٥٠٠ نسخة سنة ١٩٢٩ فبلغت ٥٤٠٠٠ نسخة سنة ١٩٣١ اما مؤلفات الخاصة فكان متوسط طبعتها الاولى سنة ١٩٢٩ نحو ٤٠٠٠ نسخة فبلغت ١١٦٠٠ نسخة سنة ١٩٣١ واما كتب الاطفال فليس من النادر ان تكون الطبعة الاولى ٢٠٠ الف نسخة

وكل كتاب ، كتبهُ ماركس او لنين ، قديماً كان او جديداً ، مطبوعاً من قبل او مخطوطاً يطبع منهُ ١٠٠ الف نسخة في البدء . وقد يهم علماء الاقتصاد في مصر ، بل في دول الغرب ، ان يعلموا ان كتاباً في الاقتصاد لعالم اقتصادي روسي غير مشهور في اوربا واميركا ، طبع منهُ في سنة ١٩٣٢ مائة الف نسخة وان رسالة علمية عويصة اخرجت في طبعة من خمسة آلاف نسخة ، وان العالم پاڤلوف لما اخرج كتابهُ الجديد في « الافعال العكسية المحوّلة » طبع منهُ في دار موسكو عشرين الف نسخة وجعل ثمنهُ نحو ٧٠ قرشاً فنفدت الطبعة كلها في الحال

بل هناك ما هو اغرب من ذلك وابعث على الدهشة . ففي سنة ١٩٣٢ اخرج اول جزء من دائرة معارف الفيلسوف مجلّ ، وهو كتاب عويص في المنطق وكان المطبوع منهُ ٥٠٠٠ نسخة فنفدت في خلال خمسة أيام ، فطبع منهُ ثانية عشرة آلاف نسخة نفدت في شهر فطبع

منهُ ثالثة ١٥ الف نسخة ويعد ثلاثة اشهر من صدورها جاءت الانباء بأن الطلب عليها ما زال متوالياً . والراجح انها تنفد قبل نهاية السنة

والظاهر مما تقدّم ان ما يطبع من هذه الكتب على كثرته لا يكفي لسدّ الطلب فلما قيل لمدير «الاوجيس» في ذلك قال مديرها انهُ لا يستطيع الحصول على المقدار الكافي من الورق مع ان المصانع الروسية تخرج مقادير كبيرة منهُ . فلما طلب الى اللجنة التي تدير مشروع السنوات الخمس ان تزيد مقدار الورق للمصنوع قالت انها لا تستطيع الآن ان تزيد عدد العمال في مصانع الورق لانها تحتاج اليهم في الأعمال الاخرى التي لا بدَّ من انتاجها للتصدير تسديداً لثمن واردات لا غنى لروسيا عنها

اما توزيع هذا العدد الكبير من الكتب والرسائل فقد اصبح عملاً دقيقاً واسع النطاق ودار النشر في موسكو التي تخرج نحو ثلاثة ارباع الكتب التي تنشر وتباع في جمهورية روسيا لها الآن نحو سبعة آلاف فرع في طول البلاد وعرضها ، يديرها رجال ونساء يتناولون مرتباً معيناً مع مبلغ اضافي يختلف باختلاف الكميات التي يبيعونها من الكتب . وتكاد الدار لا تنشر اي اعلان عن كتبها مكتفية بالمراجعات التي تنشرها الصحف . ولكنها تنشر قوائم تحتوي على عناوين المطبوعات وتفصيلات عن حجمها وثمنها وترسلها الى المكتبات والاندية في موسكو وجوارها . ثم ان كتاب « تجارة الكتب السوفيتية » وهو عبارة عن كاتالوج وبيان للمطبوعات الجديدة يصدر مرة كل ١٥ يوماً ويطبع منهُ نحو ١٥ الف نسخة ترسل الى الذين تعرف عنهم رغبتهم في شراء الكتب . وهذا هو النظام الذي تجري عليهِ دور النشر في الجمهوريات السوفيتية الاخرى . ومما يبعث على الدهشة سرعة نفاد الكتب الغالية والعويصة من دون اعلان عنها . وتعليل ذلك اقبال الجماعات المنظمة على شرائها ، كالمكتبات والمعاهد العلمية والاندية والنقابات . فكل من هذه المنشآت تملك مجموعة من الكتب ولا تفتأ إضافة المؤلفات الحديثة اليها . فلا يكاد يظهر ذكر كتاب في القائمة التي توزعها دار النشر حتى تنهال الطلبات عليهِ من هذه الجماعات المنظمة . وهذا يعلل لك سرعة نفاد مجموعات الكتب العويصة او الغالية ، كمجموعة مؤلفات داروين او مجموعة مؤلفات بلزاك . ويشكو الاساتذة في جامعة كيف انهم اذا تأخروا ايلماً في طلب كتاب جديد في موضوعهم الخاص ، تعذّر عليهم اقتناؤه . يضاف الى ذلك نحو ١٠ آلاف استاذ ومحاضر في الجامعات ومعاهد التعليم العالي ، ونحو ٥٠٠ الف من المدرسين وملايين من الطلاب ، كلهم عطاش ظمأ للمطالعة . ومن وراء هؤلاء الصناع والعمال والفلاحون المنتظمون في دروس ليلية يقبلون على الكتب الجديدة التي تصلهم اقبال الظمآن على عذب الماء

والاقتصاد في توزيع الكتب يفسر لك كثرة الطلب عليها ورخص ثمنها . يضاف الى ذلك

انفجار الرغبة في المطالعة في نفوس الروسيين. فان الجانب الاكبر من خمسين او ستين مليوناً من السكان، الذين تتباين اعمارهم من ١٠ سنوات الى خمسين سنة قد احسوا فجأة برغبة شديدة في المطالعة ولست تجد في التاريخ ما هو شبيه بذلك

وقد يهم المشتغلين بصناعة القلم ، ان يعلموا ان صناعة المؤلف في روسيا ، هي احدى الاعمال من الناحية المالية . ويقال ان مؤلفاً في روسيا يجني من مؤلفاته نحو سبعة آلاف جنيه كل سنة . والغالب ان يتعاقد المؤلف مع دار النشر على مبلغ معين يدفع لقاء طبع عدد معين من النسخ من كتاب له . ويعين هذا المبلغ بالاتفاق مع المؤلف بعد النظر في مقامه وشهرته ، ومقدار العمل الذي اقتضاه تأليف الكتاب ، وعدد النسخ التي يتفق على طبعها منه . فاذا زيدت النسخ المطبوعة عن العدد المقرر في العقد ، او اذا ارادت دار النشر اخراج طبعة جديدة منهُ ، زيدت المكافأة التي يتناولها المؤلف . فاذا اقتضت الطبعة الجديدة جانباً كبيراً من التعديل والتنقيح ، عومل المؤلف كأنهُ يقدم كتاباً جديداً للطبع . واقل ما يدفع للمؤلف ، على ما قيل للورد باسفيلد ٣٠ جنيهاً للملزمة الواحدة من رواية او كتاب مدرسي ابتدائي ، وسبعة جنيهات الى عشرة جنيهات عن كل ملزمة من كتاب اجنبي ترجمة وتصحيحاً وثلاثين جنيهاً الى ٤٠ جنيهاً عن كل ملزمة من كتاب علمي

اما مؤلفو الروايات التمثيلية فدخلهم اكبر من دخل المؤلفين لانهم يتقاضون نصيبهم من دار النشر ومن المسارح التي تمثل فيها رواياتهم

تُقدَّم الكتب الجديدة على اختلاف موضوعاتها الى دور النشر فيقبل بعضها ويهمل البعض الآخر ، فاذا قبل احدها دعي المؤلف الى التعاقد مع الدار . وغالباً ما تختار الدار بعض الكتّاب المجهولين ، فتشجعهم على العمل وتعهد اليهم في وضع كتب معينة ، وتدفع لهم مقدماً ٢٥ في المائة من الاتعاب ، وعند تقديم الكتاب يدفع للمؤلف ٤٠ في المائة من المبلغ المتفق عليه اما يشترط عليه ان يصحح الكتاب وينقحهُ في خلال الطبع وعند نشره يدفع له الباقي

والمطبوعات كلها خاضعة لرقابة الحكومة . فلجنة المراقبة في موسكو (جلافليت) لها ممثل في دار من دور النشر ، هو في الغالب مدير الدار . وعليهِ ان يمنع طبع اي كتاب او رسالة قبل ان تنال الفرز بموافقة لجنة المراقبة . فاذا سألت عن الكتب التي تحظرها لجنة المراقبة قيل لك الكتب الفاسدة ، والتي تحتوي على قذف في الناس ، او تدعو الى اضطهاد الاقليات الشعبية او الدينية ، اوما تشمّ منهُ رائحة المقاومة لنظام السوفييت . فاذا رفض طبع الكتاب مرة كان ذلك في الغالب قاضياً عليهِ ، ولكن قد يستطيع المؤلف ان يسترعي العناية لهُ لاعادة النظر فيهِ بواسطة نقابتهِ او بطلب يقدّم الى ولاة الامر . ولا يندر ان تسفر اعادة النظر عن اقرار الكتاب وطبعهِ